

## الفلسفة الإسلامية والغربية الوسيطة

### من خلال أتيين جيلسون

### في الكتابات الفلسفية العربية الحديثة

(\*)

د. أحمد عبد الحليم عطية

لنا، لا يقتصر ذلك على كبار الفلاسفة الذين ترجمنا أعمالهم وعرفنا مذاهبهم وشرحناها وتبناها بعضنا بل يشمل كذلك كثيراً من مؤرخي الفلسفة - على امتداد تاريخ الفلسفة - في شتى اتجاهاتهم الفلسفية ومذاهبهم العقائدية نعرض لتفسيراتهم وتبني أحكامهم، ليس فقط على تاريخهم الفكري بل أيضاً على تاريخنا نحن الفكري، وانجازات فلاسفتنا في تاريخ الفلسفة وعلاقة أعلام فلاسفتنا بالفكر اليوناني السابق عليهم من جهة والفكر الغربي من العصور الوسطى الذي استوعب هذه الانجازات وتأثر بها من جهة أخرى وتلمذ على أمثال ابن سينا وابن رشد وغيرهما.

وفي اطار هذه العلاقات المتبادلة بين الفكر العربي والغربي كتب كثير من الغربيين مؤرخين لتلك العلاقات والتفاعلات دراسات جيدة. وتبناها نحن لذلك النوع من الدراسات التي تتناول الفكر المقارن فبحث عبد الرحمن بدوي «التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية» وبحث آخرون في الفكر العربي وتأثيره

ارتبط الفكر العربي منذ مراحله الاولى بالفكر الغربي، وذلك بدءاً من حركة الترجمة الاولى من اليونانية الى العربية في عصر المأمون. ولا زلنا في فكرنا المعاصر نرتبط ارتباط وثيقاً بانجازات الفكر الغربي الذي يمثل بالنسبة لنا اطاراً نظرياً ونسقاً معرفياً للتفكير، فلا زلنا نحيا على قوانين التفكير التي كشف عنها أرسطو، ولا زال الغرب المعاصر بإنجازاته متفوقاً ابستمولوجياً على فكرنا الذي يجتر ويعيد نفس مقولاته المنطقية وتصورات النظرية وطرائقه في التفكير. ويصبح هذا التفوق الابستمولوجي عائقاً - امام ابداعاتنا النظرية ورؤانا الفكرية - ينبغي علينا اجتيازه، وذلك بتمثله واستيعابه وتحديدده في نطاق اطاره التاريخي والاجتماعي.

يدخل الفكر الغربي مكوناً أساسياً في نسج الفكر العربي، وإذا أردنا بيان ذلك في مجال التفكير النظري وتاريخ الفلسفة وجدنا أنفسنا شراحاً للفلاسفة الغربيين عارضين آراءهم متخذين مناهجهم مناهج

(\*) جامعة القاهرة - قسم الفلسفة - كلية الآداب

thomisme - وهو كتاب كثيراً ما اعتمد عليه الباحثون العرب في فلسفة العصر الوسيط - أن القديس توما هو المحرك الحقيقي للفلسفة في العصور الحديثة. [وهو موقف نجده لدى الأب جورج شحاته قنوتاي] ويحتج بشدة على إهمال دراسة فلسفة العصور الوسطى في الجامعات. ولا يتردد في أن يؤكد «أن من ينظر إلى القرن الثالث عشر بدون تحيز ويرى أن هذا القرن ليس أقل ثراء في الإيجاد الفلسفية من عصر ديكارت وليبنز أو عصر كانط وأوجست كونت. وهو يدعو إلى أن الفلسفة التوماوية مذهباً في العالم وتفسيراً شاملاً للكون يستند إلى وجهة نظر العقل ولا يقر تصور التوماوية على أنها استمرار للافلاطونية المحدثه: «أن نعمل من القديس توما أفلوطيناً أو حتى مشايعاً لافلوطين معناته الخلط بينه وبين أعدائه الذين حاربهم بكل قوة»، «إن إله القديس توما ليس إله أفلوطين بل هو الإله المسيحي عند أوغسطين، والإنسان عند القديس توما ليس الإنسان عند أفلوطين بل الإنسان عند أرسطوطاليس. وفلسفة القديس توما في نظر جيلسون غنية بالجمال كما أن شعره حافل بالفكر... وإذا سلمنا بأن الفلسفة ينبغي ألاّ تحد بالعناصر التي تستعيدها. بل بالروح التي تشيع فيها فلن نرى في هذا المذهب أفلوطينية ولا أرسططالية، بل قبل كل شيء مسيحية»<sup>(1)</sup>.

ويشير عبد الرحمن بدوي في كتابه «فلسفة العصور الوسطى» - الذي ينقل عن جيلسون - إشارة سريعة في نهاية تصديره تظهر اعتماده الكبير على المؤرخ الفرنسي في مجمل كتابه<sup>(2)</sup> فهو يستخدم نفس عناوين جيلسون ومحتوى مادته العلمية في حديثه عن مشكلة الفلسفة المسيحية [ص 1-5] وفكرة الفلسفة المسيحية [6-14] وهي نفس عناوين ومحتوى مادة الفصلين الأول والثاني لكتاب «روح الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» - الذي ترجمه بتصرف «عرض وتعليق» إمام عبد الفتاح إمام - الذين يشغلان

على أوروبا في القرون الوسطى. ونسعى في هذه الدراسة وغيرها لتناول الفكر الغربي في الثقافة العربية المعاصرة. فقد بحثنا في الفلسفة الغربية الحديثة [الديكارتية بالتحديد] في الفكر العربي المعاصر. ونعرض في هذا البحث لأحد هؤلاء الفلاسفة الذين اعتمد عليهم باحثوا وأساتذة الفلسفة العرب المعاصرون في كتاباتهم الفلسفية المختلفة سواء اليونانية أو الغربية في العصور الوسطى والحديثة مترجمين أعماله أو عارضين لها متخذين منها سنداً لتأكيد وتدعيم كتاباتهم، أو متجاوزين هذا المستوى إلى تبني أو معارضة تفسيراته أحياناً أو مناقشة أحكامه وإعادة النظر فيما طرحه من قضايا أحياناً أخرى. ذلكم هو مؤرخ الفلسفة وأحد مؤسسي التوماوية الجديدة في فرنسا أتيين جيلسون E. Gilson ومهمتنا هنا عرض المواقف المختلفة التي اتخذتها الكتابات العربية في تعاملها مع مؤرخ الفلسفة الكبير مشيرين إلى طبيعة هذه المواقف سواء أكانت تابعة تكتفي بالترجمة والعرض فقط أم ناقدة محللة تسعى إلى الحوار والجدل وتحليل ما يصدره من أحكام، من أجل إعطاء صورة حقيقية لهذه المواقف ومنطلقاتها من جهة ورسم صورة للفيلسوف التوماوي الفرنسي من جهة ثانية، ثم وهذا هو المقصد النهائي مناقشة بعض ما أثاره من قضايا حول الفلسفة الإسلامية أو بمعنى أدق حول تأثير هذه الفلسفة على الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى.

يتناول عبد الرحمن بدوي جيلسون في إطار الحركة التوماوية الجديدة في ترجمته كتاب ل. بنروي «مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا». كما يعتمد عليه اعتماداً كاملاً في كتابه «فلسفة العصور الوسطى». يسعى جيلسون - كما يبين لنا بدوي في ترجمته - سواء بأبحاثه أو بتعليمه، أو بالمجموعة التي يديرها في فلسفة العصر الوسيط إلى أن يسهم في نهضة التوماوية في فرنسا. ويرى في كتابه عن التوماوية Le

الترجمات اللاتينية، ينشرها «جيلسون» و«تيري». ويشير كرم في مراجعته عن أوغسطين إلى كتاب جيلسون الهام عنه «مدخل إلى دراسة القديس أوغسطين» Introduction a l'étude de saint Augustin 1929 ويقول أنه رغم «كون» العنوان متواضع، فإن الكتاب يتناول المذهب كله وفيه ثبت مفصل للمراجع وملاحظات عليها. كما يشير إلى كتابه عن القديس يونا فتتورا [أجل كتب المؤلف] كما يصفه، ويستخدم ما كتبه جيلسون عن «التوماوية» في الفصل الذي كرسه للقديس توما<sup>(4)</sup>.

والحقيقة أن كرم يعتمد اعتماداً كبيراً على جيلسون وقد أكد ذلك علي زيعور في كتابه عن «أوغسطينوس» حيث يعلق على ما كتبه كرم «بأنه يقتبس دون أن يشير إلى ذلك عن جيلسون في كل ما كتبه عن القديس أوغسطين»<sup>(5)</sup>. ينتمي كتاب كرم المشار إليه في علاقته بجيلسون إلى نفس الموقف الأول الذي يكتفي بالنقل والترجمة واتخاذ جيلسون مصدراً وسنداً لكتابه «تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» فهو الحجة في ذلك. وربما نجد مبررات عديدة فيما يتعلق بما قدمه يوسف كرم الذي اكتفى بدور المؤرخ وقدم كتابه في وقت مبكر بالنسبة للدراسة الفلسفية في الجامعات العربية. إلا أن ذلك لا يبرر انتقاد زيعور الصائب الذي لم يبرء منه زيعور نفسه رغم أن كتابه احدث - بفترة تقرب حوالي أربعين عاماً - من كتاب كرم، ومن هنا ينتمي هو الآخر لنفس الموقف الذي ينتقده.

تكثر استشهادات زيعور - على امتداد صفحات كتابه عن أوغسطين - بجيلسون فيما يرد به على «تهم» ومآخذ» على فلسفة العصر الوسيط مبنياً اعتماد النهضة الأوروبية على تلك الفلسفة وعلى عدم وجود فلسفة مسيحية يأتي بتوكيد جيلسون في «روح الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» بأن اتهامها بأنها ليست فلسفة أو بأنها لاهوت صرف هو عمل غير فلسفي.

صفحات [30-3]، [62-31]، وفي نفس الإطار يمكن مقارنة ما كتبه بدوي عن القديس أوغسطين، والقديس بونا فتتورا والقديس توما الاكويني بكتب جيلسون عنهم. ويستعين برأي جيلسون عن ابيلارد، الذي يراه مبالغاً فيه، كما يستعين بنفس استشهد جيلسون بإحدى فقرات فيورباخ في «جوهر المسيحية» عن وجود فلاسفة مسيحيين وعدم وجود فلسفة مسيحية، ويناقش اصطلاح «الفلسفة المسيحية» بالتفصيل كما لدى جيلسون.

ويرتبط بهذا الموقف ويدور في نفس الاطار يوسف كرم، الذي يعتمد في كتابه «تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» اعتماداً كبيراً حتى في العنوان على جيلسون. رغم أنه لا يذكره في الهوامش حيث قدم لنا في إحدى تنبيهاته [ص11] مبرراً لعدم احواله إلى مواضع الآراء التي أوردها في هذا الكتاب [رغم أنه أول كتب فلسفة العصر الوسيط وكان ينبغي عليه بيان ذلك] - وذلك تفادياً لتضخمه واعتقاداً منه بقلّة نفع مثل هذه الاحالة لأن المراجع الاصلية لاتينية وعزيزة المثال في الغالب، ولأن هذا القسم من تاريخ الفلسفة ليس موضع دراسة خاصة في الشرق، - وتلك مبررات غير كافية تماماً لعدم إشارته لمصدره بل هي ادعى إلى ذلك - «مكتفياً بوضع ثبت بالمراجع ضمنه ملاحظاته للعون على استكشاف مواضع الآراء وعلى الشروح في الدراسة الخاصة»<sup>(3)</sup>.

ويشير في ثبت مراجعته إلى سلسلة دراسات في الفلسفة الوسيطة بعنوان Etude de philosophie medievale وهي سلسلة كتب تنشر بإشراف جيلسون ابتداءً من عام 1922، ومن بينها معظم كتبه، ويذكر أيضاً مجلته الهامة - التي اعتمد عليها غالبية الباحثين العرب - Archives d'histoire lit-téraire et doctrinal du moyen age وهي مجلة توجه عناية خاصة إلى علاقة الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط بالفلسفة الإسلامية استناداً إلى

وأخلاقياً... وفوق كل شيء يبدو معاصراً لكل الاجيال؛ جدته لا تبلى «عظمته في تجده المستمر، في أنه يحيا مع كل حي عبر العصور» [269] كما يعتمد على كتاب «الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» في حديثه عن بويثيوس [290-292]. استشهدات عديدة توضح أن الاستاذ اللبناني ليس أقل من سابقه المصري اعتماداً على مؤرخ فلسفة العصر الوسيط الفرنسي التوماوي جيلسون، فهو مصدر هام يتبعه كل منهما بلا مناقشة.

وكان إمام عبد الفتاح إمام أكثر وضوحاً في تقديمه «روح الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» إلى العربية باسم صاحبها أتين جيلسون فلم يصف العمل الذي قام به بأنه ترجمة بل اكتفى فقط بوصفه بأنه «عرض وتعليق» وربما قصد بذلك أن يتحاشى التصريح بالترجمة عن الفرنسية. يقول موضحاً طبيعة جهده «لقد رأينا أن «نعرض» هذه الدراسة لا أن نترجمها حرفياً ذلك لأننا نهدف أساساً إلى تعريف القارئ بأهم مشكلات هذه الفترة وقد يحتاج ذلك أن نضيف شيئاً أو نوضح فكرة كانت غامضة، أو أن نحذف ما نراه غير جوهري لعرض الفكرة الرئيسية من الكتاب [المقدمة: ك] وقد يكون معه حق! فربما لا تصلح الهوامش للتعليق أو التوضيح على النص الأصلي وربما لا يجدي في ذلك مقدمة تعرض للعمل وتناقشه.

وفي تقديمه للطبعة الاولى يحدثننا عن «التوماوية الجديدة» نشأتها وأنصارها ومنهم جيلسون «الذي يعد من أكبر المتخصصين في فلسفة العصر الوسيط» ويعدد كتاباته الفلسفية المختلفة ومنها «روح الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» وهو «دراسة تشمل أهم المشكلات التي شغلت أذهان المفكرين في ذلك العصر وهي تبدأ عادة بإثارة مشكلة الفلسفة في العصر الوسيط، ثم بتحديد معنى هذه الفلسفة، وأخيراً تعرض المشكلات الفلسفية اللاهوتية التي

«تستطيع فلسفة ما أن تستلهم الوحي وتكون حقيقية وإذا ما كانت حقيقية فما ذلك إلا لأنها فلسفة جيدة» [64]. يتقبل زيعور أحكام جيلسون تقبلاً كاملاً ودون مناقشة فهو عنده من أشهر الباحثين المتعمقين في الدراسات حول الفلسفة المسيحية [65] التي أحدثت تأثيراً في تطور الفلسفة [69] لهذا فهو يعتمد على جيلسون في بيان موقف ترتوليان الرافض للفلسفة اليونانية [84] [92].

ويتوقف كثيراً في حديثه عن أوغسطين عند كتابات جيلسون عنه؛ حين يعرض المنهج الأوغسطيني في الالهيات [143] وفي عرض النظرية المهمة ذات التأثير القوي في العصور الوسطى، القائلة أن الله هو «شمس معقولة» وأنه شمس العقول قبل كل شيء لإظهار أن الله هو المعلم الباطني [15] ويستشهد به في أقل من نصف صفحة ثلاث مرات [157] ويتخذه مصدراً في حديثه عن المحبة باعتبارها الفكرة المركزية عند أوغسطين [158] وفي حديث الاخير عن المدة الزمنية التي خلق بها الله العالم [163] [169] وحين يعرض لعلم النفس الاوغسطيني [193] والنعمة الالهية [204] وحين يعرض لنظرية المعرفة للمدرعات المادية والمعرفة الحية [207] وحين يقارن أفلاطون وأوغسطين [210] ويستخدم نفس أفكار وعبارات جيلسون حين يقارن أوغسطين وديكارت [66] [210] ويعتمد على مدخل جيلسون لدراسة أوغسطين حين يتناول السعادة الاوغسطينية والمعرفة [219-220] وحين يتناول المدينة الأرضية يعتمد على كتاب جيلسون *les métamorphoses de la cité de Dieu* ويتكرر استخدامه لمدخل لدراسة أوغسطين في حديثه عن القانون والمجتمع [230] وفي حديثه عن فلسفة التاريخ في «مدينة الله» التي كان لها تأثيرها في فلسفة التاريخ بل ربما في التاريخ نفسه كما يقول جيلسون [240] [246] وفي ختام حديثه عن أوغسطين يذكر أنه كان لاهوتياً وفيلسوفاً

اهتم بها فلاسفة هذا العصر». وهذا الكتاب يعتبر خير كتاب على الإطلاق عالج موضوع الفلسفة المسيحية ومكانتها بين الفلسفة اليونانية من ناحية والفلسفة الحديثة من ناحية أخرى بل وامتداد أثرها على الفلسفة المعاصرة من ناحية ثالثة<sup>(6)</sup>.

ويناقش المؤلف في بداية كتابه هذا الشكوك التي أثرت حول وجود الفلسفة المسيحية ذاتها، لينتهي إلى القول بأن فترة العصر الوسيط كانت صفراً قولاً لا معنى له من أي وجه، لأن ذلك يلغي جانباً كبيراً من التراث النظري المسيحي من ناحية ولا يفسر لنا من ناحية أخرى كيف جاءت الأفكار اللاهوتية الكثيرة الموجودة في الفلسفة الحديثة خصوصاً عند الديكارتيين. ثم يحدد لنا في فصل تالٍ ملامح الفلسفة المسيحية ويبدأ بعد ذلك في دراسة موضوعات الفلسفة المسيحية وأولها بالطبع هو «الله» الذي يرى جيلسون أن الخاصة الأساسية له في الفكر المسيحي هي الوجدانية والخلق وتلك فكرة تبرز أصالة الفلسفة المسيحية لأن اليونانيين لم يعرفوا شيئاً عن فكرة الخلق، ويتابع المؤلف عرض هذه الفكرة بالتفصيل في الفصل الرابع، ثم يتحدث عن العلاقة بين الله والعالم في الخامس وعن التناول المسيحي وعن مجد الله. ثم يخصص حديثاً طويلاً عن الإنسان من جميع جوانبه، ثم يتحدث عن المعرفة ويخصص فصلاً عن الحب وآخر عن حرية الإرادة ثم فصلين عن الأخلاق وثلاثة فصول أخيرة عن وجهة نظر الفلسفة المسيحية من الطبيعة والتاريخ والفلسفة. أمانة كاملة في متابعة جيلسون ودقة متناهية العرض والتعليق الذي قدمه إمام عبد الفتاح.

لم يقتصر التعامل مع كتابات جيلسون على مؤرخي الفلسفة الغربية: بدوي وكرم وزيعور، رغم أن هذا هو الجانب الأساس في جهد جيلسون والصورة الغالبة التي عرف بها في العربية، بل نجد اهتمامات متنوعة بجوانب مختلفة من كتابات جيلسون وكل ما قدمه

في فلسفة العصر الوسيط بل تشمل جهوده في تاريخ الفلسفة ولا تكفي بالمرحل الأساسية في هذا التاريخ: اليونانية، الوسيطة والحديثة بل نهم بفترة الانتقال من الأولى إلى الثانية إلى الثالثة وهكذا. لذا نجد أساتذة وباحثي الفلسفة الإسلامية في مختلف فروعها يرجعون إليه ويعتمدون كتاباته في مؤلفاتهم وتحقيقاتهم لكتب ونصوص الفلسفة الإسلامية. فلا تخلو قائمة في معظم كتب الفلسفة الإسلامية من ذكر جيلسون وكتبه وهذا ما يشير إليه محمد عبد الهادي أبوريدة في ترجمته لكتاب دي بور «تاريخ الفلسفة في الإسلام» حين يتحدث عن نظرية العقل عند الكندي حيث يذكر رسالة الأخير «في معنى العقل عند الأقدمين» وترجمة يوسف كرم لها من اللاتينية إلى العربية وينقل أبوريدة النص عن جيلسون Archives d'histoire doctrinale et littéraire du moyen âge 1929- 1930, P.22 [ص 121] ويبين أن نظرية العقل نظرية غامضة كثر فيها النزاع ورغم غموضها واضطرابها حتى عند أرسطو نستطيع أن نستخلص من كتاب النفس De anima أن العقل عنده: منفعل - فعال - بالملكة ويصف ويعرف هذه العقول اعتياداً على جيلسون ويبين معاني هذه العقول عند الاسكندر الافريسي كما يذكرها جيلسون [ص 123] كما يعتمد الدكتور أبو الوفا الغنيمي التفتازاني على كتاب جيلسون la philosophie au moyen âge, paris 1952 في بحثه الهام عن «ابن سبعين وفلسفة الصوفية» في بيان منزلة ابن سبعين في الغرب المسيحي «فقد كان ارتقاء المسيحيين في الفلسفة واللاهوت في القرن الثالث عشر قد أعقب غزو الفلسفات العربية واليهودية مع كتب أرسطو العلمية والميتافيزيقية والأخلاقية للغرب اللاتيني [177] وهو لا يستبعد أن تكون أجوبة ابن سبعين [على أسئلة فردريك الثاني] قد ترجمت فيما ترجم من كتب فلسفية عربية إلى اللغة اللاتينية، وعرف

عن العربية لذلك ينبغي أن يرجع إلى التراجم اللاتينية بحذر شديد [32] وناقش الاصطلاحات المختلفة للعقل عند الشراح المختلفين [35-36-37] وارجعنا إلى جيلسون واشارته إلى علم النفس السيني [62].

وتشير كتابات جيلسون في الفلسفة الإسلامية أو بمعنى أدق أثر هذه الفلسفة على الفلسفة الغربية في العصور الوسطى اهتمام العديد من الباحثين العرب المعاصرين. فقد أحدثت كتاباته الكثير من المناقشات التي تتعلق بدور وطبيعة كل من هاتين الفلسفتين ويفجر هذه المناقشات الباحث الدومينكاني المصري الأب جورج شحاته قنواتي في كتابه عن «مؤلفات ابن رشد»: حيث يذكر «أن محمود قاسم من أشد أنصار ابن رشد تحمساً أراد أن يثبت أن القديس توما الاكويني استقى منه حلوله لعدد كبير من المشاكل الدينية، ويلمز - قنواتي - إلى أنه لم يستطع على ما يظهر أن يقنع إمام فلسفة القرون الوسطى آنذاك الأستاذ جيلسون Gilson ولعل هذا أعطى لبعض هجومه على توماس الاكويني في كتبه العربية الأولى حجة غير مألوفة عند الفلاسفة»<sup>(11)</sup>. وقبل أن نعرض لموقف محمود قاسم - وهو موقف هام ومتميز ليس من جيلسون فقط بل من معظم الكتابات الغربية عن الفلسفة الإسلامية بفروعها المختلفة - ظهر من رده على جيلسون في «نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الاكويني» ومن رده على ماسينيون في دراسته عن الخلاص<sup>(12)</sup>. أقول قبل أن نعرض لهذا الموقف نشير إلى اهتمام قنواتي الأصيل بكتابات جيلسون، كما يظهر في دراساته المختلفة مثل «الفلسفة وعلم الكلام والتصوف» في تراث الإسلام ج<sup>2</sup> ليبين أن كتاب النفس المنسوب إلى جنديشلب (ق 6 هـ/12م) يعين بدء دخول آراء ابن سينا في الفكر المسيحي» اعتماداً على بحث جيلسون «الأصول الاغريقية العربية المتأثرة بابن سينا» عن أرشيف

المفكرون الغربيون من خلالها آراء أرسطو وشراح فلسفته كما عرضها ابن سبعين فيها ويكون شأنها في ذلك شأن شروح ابن رشد التي نقلت الى اللاتينية في بلاط فردريك الثاني بواسطة ميشيل سكوت أثناء إقامته في باليرمو (1228-1235) [ص 182]. بل إن كتب جيلسون صارت مصادر تزيين كثيراً من كتب الفلسفة الإسلامية<sup>(9)</sup>.

ويعتمد احمد فؤاد الأهواني في تحقيقه «تلخيص كتاب النفس» لابن رشد ورسائل أخرى على جيلسون - حين يتناول شراح أرسطو لكتاب النفس - في: Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen âge الذي تناول فيه الفيلسوف الفرنسي مقالة العقل في كتاب النفس لأرسطو - والتي اعتمد عليها أبو ريعة من قبل - حيث يبين الأهواني<sup>(10)</sup> إن المسائل التي أفرد بها جيلسون في الكتاب واردة كلها في نص أرسطو وينقل عنه صفحات طوال [26-27-28-29]. ويعرض لتساؤلات جيلسون على طريقة شراح أرسطو عن العقل المتفعل وما المقصود به؟ وبين اجابات أرسطوقليس - Aristoteles - أستاذ الاسكندر الافردوسي [الذي يسط جيلسون القول في مذهبه بسطاً أكثر بياناً [28] ويعرض هذا المذهب [28-29-30-31] وبين اعتياداً على جيلسون «أن فلاسفة العصر الوسيط إسلاميين ومسيحيين قد جهلوا أرسطوقليس رغم أنهم عرفوا تلميذه الافردوسي [31] وينقل عنه «أن الاسكندر نقطة البداية في كلام العرب وفلاسفة العصر الوسيط عن العقل [31] ويرى أن ملاحظة جيلسون فيما يختص بالترجمة العربية ثم اللاتينية عن العربية جديرة بالنظر. فهو على حق في ذلك لأنه يوازن بين النص اليوناني والترجمة اللاتينية. أما أن نقلة العرب لم يحسنوا الترجمة فأمر يحتاج في أثباته إلى الموازنة بين التراجم العربية والأصول اليونانية. والمرجح أنها كانت دقيقة. فقد جاء الخلط من الترجمات اللاتينية

التاريخ والعقائد والآداب في العصور الوسطى، مجلد 4 (1929-1930) ص 101. وكذلك دراسته «لماذا نقد القديس توما الاكوييني القديس أوغسطين [نفس المجلة مجلد 1926-1927 ص 5-127]. وفي هذا الاطار المقارن يبين اتخاذ رانس سكوت من فلسفة ابن سينا أساساً بنى عليه أقواله في ما وراء الطبيعة معتمداً على ما كتبه جيلسون عن «ابن سينا ونقطة البداية عند رانس سكوت» بنفس المجلد [مجلد 2، 1927، ص 80-149] ويعلق المترجمان على اشارته بإيمان ابن رشد «بالحقيقة المزدوجة» بإرجاعنا إلى كتابات جيلسون: «دراسات فلسفية وسيطة»، «الفلسفة في العصور الوسطى» طبعة باريس، وتاريخ الفلسفة المسيحية بالانجليزية نيويورك 1955<sup>(13)</sup>. ولا ندري لماذا يقبل قنوات تأثير ابن سينا [الاشراقي] على اللاتين ويرفض تأثير ابن رشد [العقلاني] عليهم وبالتحديد على الاكوييني كما أشار محمود قاسم. علينا إذن عرض رأي الأخير في ذلك وبيان موقفه من جيلسون في رأيه في هذه القضية قضية تأثير الاكوييني بالفيلسوف العربي.

يهتم محمود قاسم أستاذ الفلسفة الإسلامي المتميز والحاصل على الدكتوراة من جامعة السربون بتفنيد آراء مؤرخي الفلسفة الغربيين أمثال جيلسون والمستشرقين أمثال ماسينيون تفتيداً علمياً موثقاً حين يناقش آراء هؤلاء في الفلسفة الإسلامية. وهو يحرص في كتابه «نظرية المعرفة عند ابن رشد» وتأويلها عند توماس الاكوييني على التأكيد بأن الأخير عرف أهم الكتب الشخصية التي ألفها الأول ومن هنا يورد للفيلسوف العربي نصاً يتفق ويتطابق مع نص أورده جيلسون في كتابه عن «التوماوية» يبين وجهة نظر الاكوييني بصدد فكرة الخلق<sup>(14)</sup> لقد ظن جيلسون أن فكرة الخلق المستمر ابتكرها الاكوييني الذي يقول عنه أنه رفض أن يسلك مسلك الفلاسفة العرب وأتباعهم من الغربيين في تجزئة القدرة الإلهية. ويورد نصوصاً

لابن رشد مبيناً أن النصوص التي أوردها جيلسون ليست إلا صدى لها ليخرج من التطابق بينهما إلى أن هذا التوافق ليس راجعاً إلى عرض الصدفة. ان «جيلسون» أخذ عن «الاكوييني» الذي أخذ عن ابن رشد<sup>(15)</sup>. ان جيلسون ذهب إلى القول بأن ابن رشد ينكر العناية الإلهية ومن المحتمل أن جيلسون لا يعرف العربية ولا نصوص ابن رشد. ويؤكد أن الاكوييني تبع خطوات ابن رشد إلى أكبر حد من مسائل عديدة أخرى كمشكلة تعدد موضوعات العلم الإلهي. ومشكلة العلم الإلهي وفكرة الزمن ولم يبتعد عنها كثيراً في مسألة علم الله للممكنات المستقبلية التي يقترب فيها من ابن سينا<sup>(16)</sup> «ويكرر نقده لمؤرخي الفلسفة ومنهم جيلسون في عدة صفحات لسبب موقفهم من ابن رشد»<sup>(17)</sup>.

لقد ألف مؤرخو الفلسفة أن ينظروا إلى ابن رشد على أنه كان أرسطو طاليسياً أكثر مما يبرره الواقع. وقد بدأوا جميعاً بالقول بأن الشارح الأكبر لم تكن له فلسفة خاصة به. ويعرض لرأي جيلسون الذي يربط ابن رشد وأرسطو من انكار العناية الإلهية والعلم الإلهي ويلتمس له العذر لعدم إطلاعه على النصوص العربية للفلسفة الإسلامية خاصة النصوص الرشدية». فإذا جاء «جيلسون» ليجمع بين أرسطو وابن رشد، ويقول أن الشارح الأكبر مقلداً أعمى لأراء أستاذه فمعنى ذلك أنه يريد تجاهل مذهب فلسفي قائم بنفسه، وأنه يهدم فلسفة متسقة في جميع أجزائها، وأنه يعطي للاكوييني كل المجد الذي ليس جديراً بأن يخلعه عليه. وربما يكون هذا الرأي سبب ضيق قنوات بكتابات محمود قاسم الذي يرى «أن القول بأن ابن رشد ينكر العناية الإلهية معناه أن «جيلسون» أو غيره يغلق عينيه حتى لا تقع على تلك النصوص العديدة التي يحتوي عليها كتاب «مناهج الأدلة» ومعناه أيضاً أنه يصر على ألا ينظر نظرة محايدة إلى نصوص أخرى<sup>(18)</sup> عديدة لابن رشد.

أخرى [102] وتعرض رأيه في أن كبار اللاهوتيين المسيحيين المتفلسفين أصبحوا تلاميذاً للفلسفة المسلمين أكثر من كونهم تلاميذاً لللاهوت المسيحي [103] وتبين أن تعريف جيلسون للفلسفة المدرسية جاء كرد فعل لتعريف بيكافيه ودي وولف، فهي عنده تلك الفلسفة التي توفق بين الدين والفلسفة. وتعرض لنتيجة غريبة بعد بيان رأي جيلسون في قولها: «ينتهي جيلسون إلى هذه النتيجة وهي أن المسيحية لم تساهم في إثراء التراث الفلسفي للإنسانية؟! [109] وتبين متفقة مع جيلسون أن ابن رشد لم يخرج أبداً في كتاباته الشخصية عن المفاهيم العقائدية التقليدية للمجتمع الإسلامي بالرغم من أن الوجه الفلسفي للحقيقة كان بالنسبة له هو أعلى غمط من أنماط الحقيقة الإنسانية. وتستخدم في مصادر مع كتابات جيلسون الفرنسية كتابه بالانجليزية عن «تاريخ الفلسفة المسيحية» [130].

وترى أن جيلسون كان أفضل من عبر عن موقف توماس الأكويني. وجيلسون من المؤمنين بالفلسفة التوماوية إيماناً شديداً، إلا أن هذا لم يمنعه أبداً من دراستها دراسة موضوعية. وتعرض لقول «مؤرخ الفلسفة المسيحية العظيم والمتفهم لروحها تفهماً عميقاً [152] وتذهب معه إلى أن موقف توماس الأكويني من أرسطو لم يكن أبداً هو موقف عالم اللاهوت الخالص... وأنه يمكننا الوقوف على نظريته فيما يتعلق بالتوفيق لا به من معرفة رأيه بالنسبة لمصادر المعرفة أو الحقيقة عند كل من الفيلسوف واللاهوتي المتفلسف. وترى مع جيلسون أنه بينما تستنبط الفلسفة براهينها من [ماهيات] الأشياء وبالتالي علل الأشياء ذاتها يعتمد اللاهوت على العكس دائماً من براهينه على العلة الأولى لكل الأشياء أي على الله [154] وترى مع جيلسون أن فلسفة [الأكويني] لا ترجع قيمتها إلى كونها مسيحية بل إلى كونها حقيقية وهي مجهود ضخم من أجل إعادة بناء الفلسفة كما أنه

توضح كتابات قاسم في العلاقة بين ابن رشد والأكويني موقفه من جيلسون التوماوي الذي ينحاز إلى فلسفة الأكويني وبالتالي فهو غير محايد في دراسته لجهد ابن رشد، ويعبر قاسم عن موقفه من جيلسون «أكبر مؤرخي فلسفة الأكويني في عصرنا» في بيان افترائه على ابن رشد، فهو [جيلسون] ينسب إلى فيلسوفنا نظرية لم يقل بها قط، بل ينسب إليه نظرية تتناقض مع النصوص الرشدية الموثوق بها حين يقرر أن ابن رشد يقول على غرار أرسطو أن الله ليس هو السبب الفعال أو الخالق للكون. وحقيقة - كما يبين قاسم - لم يقل ابن رشد قط إن الله مجهول الممكنات المستقبلية أو أنه ليست هناك عناية إلهية؛ يرى على عكس ما يقرره جيلسون أن هذا الفيلسوف ابتكر نظرية أصيلة سطا عليها توماس الأكويني فيما بعد<sup>(19)</sup>. هكذا يحدد قاسم موقفه من الأكويني ومن جيلسون في نفس الوقت بطريقة حاسمة مغايرة لما نجده عند البعض في مواقفهم العارضة والناقلة عن جيلسون.

وتخطو زينب الخضير في تعاملها مع جيلسون خطوة أبعد مما سبق حيث لا تكفي بالاعتقاد على كتاباته والنقل عنها واستخدامها كمصادر لباحثائها. بل تدخل معه في حوار حول أحكامه وتحليلاته لعلاقة الفلسفة الإسلامية بالغربية في العصور الوسطى، ويظهر هذا الحوار على مرحلتين في كتاباتها، الأولى في استخدامها كباحثة في مرحلة الدكتوراة لكتاباته والثانية تلي ذلك في دراستها عن «ابن سينا وتلاميذه اللاتين» حيث تبدو أكثر جرأة وثقة مما كانت عليه في «أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى» وسنعرض لموقفها حسب تطور كتاباتها.

في حديثها وتساؤلها عن: هل هناك «فلسفة إسلامية» و«فلسفة مسيحية» أم لا في كتابها عن «أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى»<sup>(20)</sup> تعرض لتفرقة جيلسون لما نسميه فلسفة مسيحية وفلسفة يهودية من جهة، وما نسميه فلسفة إسلامية من جهة



من الجلي أن اتفاقها واللاهوت نتيجة ضرورية لمقتضيات العقل ذاته [156].

وترى مع جيلسون في حديثها عن سيجردي برابانت أن الحقيقة الوحيدة هي الحقيقة الدينية إذ أنها الحقيقة المقلقة [173] فالحقيقة لا يصف بها التأمل الفلسفي فهي فقط ما جاء به الوحي [174]. وتعلق على ما جاء عند جيلسون من أن سيجر لم يغير مجرى مشكلة العلاقة بين الفلسفة والدين وترى أن جيلسون انتقائي اعتمد على نص يخدم فكرته، ولو رجع للنص الذي جاء في شرح السماء والعالم والذي ذكره «ماندونيه» لتغير موقفه تماماً [175] تتقدم الحضيري هنا خطوات للأمام وتناقش جيلسون وتعديل من أحكامه بناء على رجوعها إلى نصوص أخرى، أو تقديمها تفسير جديد لنفس النصوص.

ومن عرضها لمشكلة العالم عند الأكوييني توضح أولاً عرض القديس توما لحجج القائلين بالقدم [253/252] اعتماداً على كتاب جيلسون «التوماوية». وأنه بعد أن قدم حجج الفلاسفة على القدم يحاول هدمها [254] لقد ذهب إلى أنه لا يمكن البرهنة على قدم العالم فهل حاول البرهنة على حدوث العالم؟ لقد وقف موقفاً وسطاً بين الرشددين [قدم العالم] وبين الأوغسطينيين [حدوثه] بأن قال بإمكانية بدء العالم من الزمان وبإمكانية قدمه أيضاً [255] ويعتقد جيلسون أن القديس توماس نجح في التوفيق بين المسيحية وبين الارسطية فيما يتعلق بنظرية العالم. وهي لا توافق جيلسون على رأيه هذا لأن القديس توماس شك بما تقوله المسيحية ولم يأت بجديد [256]. وتتوقف عند فكرة شديدة الخطورة يلفت نظرنا إليها جيلسون وإن كان كما تقول يمر عليها بسرعة لا تتناسب مع أهميتها [264] وهي ان العدم ليس هو بالقطع عند القديس توما «الرحم الاصلي» الذي

خرجت منه كل المخلوقات، لأن الوجود لا يمكن أن يصدر إلا عن الوجود [264 265].

وحين تتناول علاقة النفس بالبدن عند أرسطو وابن رشد تعرض لرأي جيلسون في نظرية العقل عند أرسطو وعرضها لها ولما تثيره من مشاكل بالنسبة لأي فيلسوف مؤمن وذلك في صفحات طوال [311/310/309] وتعرض لتأويل جيلسون لفكر أرسطو ثم تبين اعتراف جيلسون بأن هذا التأويل السليم في رأيه ما هو إلا تأويل ابن رشد الذي يعتمد أساساً على نصوص الكتاب الثالث من النفس. وتعرض لرأي الأكوييني في النفس وعلاقتها بالبدن اعتماداً على كتاب «التوماوية» [355] وأن اتحادهما وسيلة لتحقيق الكمال المطلق [256] وتعتمد عليه صفحات [364، 365] وتبين ما يذهب إليه جيلسون من أن ابن ميمون قال بنظرية في النفس متأثرة بابن رشد أدت به إلى تصور خاص في الخلود [389-390] وهكذا يتضح أنها ورغم اعتمادها على كتابات جيلسون المختلفة ورجوعها إلى مجلته الهامة وكتبه الانجليزية والفرنسية، تحاول وإن كان على استحياء مناقشة آراء جيلسون اعتماداً على المامها بنصوص الفيلسوف العربي المسلم ابن رشد مما جعلها تصحح أو تعدل بعض آراء المؤرخ التوماوي.

وتظهر هذه النزعة النقدية بصورة أوضح في دراستها التالية «ابن سينا وتلاميذه اللاتين»<sup>(21)</sup> فهي تذكر أثر ترجمة ابن سينا على الفكر اللاتيني وأن تأثيره كان واسعاً للغاية وإن تفاوت عمقه من فيلسوف لآخر كما جاء لدى جيلسون في «فلسفة ابن سينا وتأثيرها على أوروبا الوسيطة» [30]. وتتوقف عند تحليل جيلسون لكتاب «العلل» وتأثير مؤلفه بابن سينا وترجيحه أن يكون جند يسألني هو مؤلف الكتاب. وترى أن جيلسون لم يقدم حلاً للغز هذا الكتاب. وتعارض رأي جيلسون بفرض مقابل وهو أن جند يسألني وهو يترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية أضاف

عند دوفري دور الفعل الفعال السينائي [كما جاء في جيلسون: لماذا انتقد القديس ثوما القديس أوغسطين] [163-162] فالله هو الذي يمنح المعقولات الأولى عن طريق الإشراق على العقل، والنصوص المقدسة جميعها تؤكد أن المبدأ الذي يضيء نفوسنا أسمى من هذه فهو الله ولا أحد غيره [165] وتتساءل هل اعتقد دوفري أن النشاط الناجم عن الإشراق الإلهي يرجع الفضل فيه لله وحده أم اعتقد إن للإنسان دوراً في عملية الإدراك، وترى إن دوفري طرح على نفسه نفس السؤال ولكنه لم يهتد إلى حل واضح حاسم [165].

ويخطيء من يظن أن جهود جيلسون تقتصر فقط على التأريخ للفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط بل تتجاوز جهوده دراسة فلسفة العصور وعلاقتها بالفلسفة اليونانية والإسلامية إلى الفلسفة الحديثة وفروعها المختلفة. فهو ينطلق من الفلسفة الوسيطة إلى الفلسفة الحديثة ليبين ما في الأخيرة من أصول اسكولائية. فقد حاول أن يبرهن في رسالته للدكتوراة «الحرية عند ديكرت واللاهوت» على أن ديكرت قد تأثر إلى حد بعيد بالاسكولائية «فالعصر الوسيط لم يكن فقيراً [في الفلسفة] وهو المكون للمدنية الحديثة بفنونها وعلومها، وفلسفته تساعد على فهم أكمل للفلسفة الحديثة على الأقل لعدة أطروحات رئيسية فيها مثل: الكوجيتيو الديكرتي [دراسات عن دور الفكر الوسيط في تشكيل المذهب الديكرتي] وهذا أيضاً ما يشير إليه في بداية كتابه «روح الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط». ومن هنا نجد أساندة الفلسفة الحديثة قد اعتمدوا عليه وأشاروا إليه ونقلوا عنه في ترجماتهم وكتاباتهم عن «أبي الفلسفة الحديثة» ديكرت.

يعتمد محمود الخضيرى في تعليقاته على ترجمته «للمقال في المنهج»<sup>(22)</sup> على ذكر جهود الشراح السابقين وفي مقدمتهم جيلسون - ث يذكركه أكثر من ثلاثين

من عنده اضافات توحى بأن صاحبه مسيحي رغبة في التوفيق بين قضاياه والمسيحية [37-36] وتبين اعتماداً على جيلسون في بحثه [مصادر الأوغسطينية السينائية] أن «العلل» هو توفيق بين الافلاطونية المحدثنة العربية وبين الافلاطونية المحدثنة المسيحية [41].

وتحاول بيان أثر ابن سينا في الفلسفات اللاحقة عليه، وانتباه الباحثين لهذا الأثر وليس أدل على ذلك من اعتراف جيلسون به في «المصادر اليونانية والعربية للأوغسطينية السينائية» [42] وتبين أنه في القرن الثالث عشر غلب تأثير ابن سينا على جيوم دوفري وروجر بيكون وظاهر ما أطلق عليه جيلسون الأوغسطينية السينائية [44] وتبين موقف دوفري من أرسطو ومن ابن سينا وأنه بالرغم من هجومه عليه فقد كان يعتقد أنه خير من فسر عالم ما تحت فللك القمر، وأنه كذلك يستحق لقب المعلم الأول، اعتاد على جيلسون [86] وتعرض لحياة روجر بيكون في صفحات طوال نقلاً عن جيلسون [99-98-97] وحديثها عن «ثورة بيكون على فلاسفة ولاهوتي عصره» فنذكر أنه لم يستطع مثل كل مجدد الاستغناء عن كل عناصر التراث القديم [112] وفي مقدمة ذلك الاقتناع بأن اللاهوت هو سيد العلوم وتبين أنه إذا كان جيلسون يرى في مثل هذا القول تناقضاً صارخاً في فكر بيكون لأنه يدعو للتجريب من جهة ويؤكد سيادة اللاهوت من جهة ثانية، فهي ترى أن مثل هذا القول مما يتفق ومنطق مذهب بيكون الذي أراد أن يحتفظ للاهوت بمكانته اللائقة به ومثل هذه المكانة لا تتحقق إلا إذا كان مضمونه يقينياً، أما وسيلة اليقين الإنساني فهي التجريب أو الملاحظة [114].

وتبين في حديثها عن نظرية النفس عند جيوم دوفري أنه أخذها عن ابن سينا وأن مفهوم لامادية النفس هذا سيستمر عند الأوغسطينيين في بداية القرن السادس عشر لسبب بسيط هو أنه يتفق والروح العامة لمذهب أوغسطين. وتبين أن الله يلعب

مرة: في حديثه عما يقصده ديكارت بالتهور والسبق إلى الحكم قبل النظر والجلاء والتميز [43] ومعنى الصورة عنده باعتبارها مبدأ باتحاده مع المادة يتكون جسم طبيعي ويحل في نوع معين [57] وفي إشارة ديكارت إلى عدم كفاية العلم الذي تلقاه [59] وفي ترجمته لكلمة شيشرون اللاتينية [69] ويذكر تعليق جيلسون على ضرورة مراجعة الكتب التي درسها ديكارت في مدرسة لافليش [72] وعلى عدد قواعد المقال وقواعد كتاب «قواعد لهداية العقل» [74] ويذكر تعليقاته صفحات [77-79] وفي حديثه عن قاعدة التأليف وتفسير بيار سلفان رجيس للعقل والإرادة الذي اقتبسه جيلسون [81] ويشير إليه مرتين صفحة [94] في تعليقه على استعمال ديكارت الماهية والطبيعة كمترادفين، وتحديد ديكارت للمقصود بالنفس والروح في ردوده على الاعتراضات. وإن ديكارت يقصد بقوله «كلمات المدرسة» اصطلاحات علماء العصور الوسطى التي لم تكن قد هضمتها اللغة الفرنسية [97] وفي تعليقه على قول ديكارت أن المركب يدل على تبعية يأتي بتعليق جيلسون «أن أجزاء المركب يعتمد بعضها على البعض الآخر وأن الكل نفسه يعتمد على الأجزاء التي تكونه» [98] ويشير بأن تراجع الدفاع عن ديكارت ضد كانط وجاسندي [100-101] وفي بيانه لأنواع اليقين عند ديكارت يعتمد على تعليق جيلسون [103-104] وينقل تعليقات جيلسون منسوبة إلى صاحبها صفحات [106-108-109-110-112-125-131] بأمانة كاملة مثلما يفعل مع كل مصادره الأخرى. وربما يكون الخضير أول من ذكر جيلسون من الكتاب والباحثين العرب في بداية العقد الثالث حين ترجم وأخرج كتاب ديكارت الهام «المقال في المنهج» 1930. ويستخدم جميل صليبا في مقدمة ترجمته للمقال في المنهج<sup>(23)</sup> وفي ملاحظاته المختلفة تعليقات جيلسون، وإن كان لا يذكر مصادر هذه الملاحظات، والإشارة

الوحيدة التي يذكر فيها جيلسون في المقدمة تفصح كثيراً عن مدى اعتياده على شروحه وتعليقاته خاصة في عرضه لـ «فلسفة الأخلاق عند ديكارت» حيث يقول: «اننا نلخص هنا ما كتبه جيلسون في مقدمة المقال في المنهج طبعة فرن، باريس 1935 [ص 44 وما بعدها] ويشير إلى كتاب Etudes sur le rôle la pensée medievale dans la formation du système Cartésien وفي حديثه عن اليقين عند ديكارت يذكر أنواعه كما جاءت في «مبادئ الفلسفة» وفي تعليق رابيه على المقال في المنهج ولدى جيلسون في تعليقه [98]. ويذكر جيلسون أيضاً في آخر تعليقاته في نهاية ترجمته للمقال في المنهج حيث «يلمح ديكارت بطريقة أقرب إلى التصريح بأنه لن يلبي رغبة الدولة إذا هي طلبت منه استخدام علمه لغاية حرية، راجع تعليق جيلسون ص 138 طبعة فرن» [133].

ويصفه عثمان أمين وهو «حجة بين مؤرخي الفلسفة الديكارتية في أيامنا هذه» بنفس العبارة السابقة في كتابه الهام عن «ديكارت»<sup>(24)</sup>. حيث يعتمد على مقالته «ديكارت في هولندا: مجلة الميتافيزيقا 1921» في مقارنة ديكارت بجامعة «روزكروا» [43] ويعتمد على نفس المقال في تعليقه على الاكتشاف الديكارتى (في 1 نوفمبر 1619) [45-46]. ويرى أن ما سجله ديكارت في كتابه يعبر عن ذكريات حقيقية، وأن الخطوط الكبرى التي رسمها الفيلسوف في ماضيه هي بالجملة الخطوط التي يستطيع التاريخ أن يميزها واللحظات الحاسمة التي ذكرها هي اللحظات التي تطابق فترات ذات أهمية استثنائية. متخذاً من تعليق جيلسون على المقال في المنهج مرجعاً يستند إليه في الفصل الخامس من الباب الثاني «نظرات في المقال في المنهج» [143] وكذلك في حديثه عن «الكوجيتو» الفصل الأول من الباب الثالث [اليقين الأول - وجود النفس] ويبين أنه اكتشاف ديكارتى أصيل، وديكارت

يشاركه في الإتجاه العام نحو عصر الآلات والصناعة والطب العلمي [287] لقد قصد ديكارت منذ البداية إلى الحكمة وكتب حوالي 1663 رسالة باللاتينية عنوانها: «دراسة العقل المستقيم» ويمكن أن يترجم العنوان - فيما يرى جيلسون - بداية الحكمة [289] ويشير عثمان أمين إلى قول جيلسون أن جزءاً كبيراً من الفلسفة الديكارتية مشتق من مذاهب القرون الوسطى سواء أكان ذلك بالنقل المباشر أم بطريق «رد الفعل» المقصود إعتياداً على ما جاء في «دراسات في الدور الذي قام به فكر القرون الوسطى في تكوين مذهب ديكارت [297].

وبالإضافة للجوانب المختلفة من تاريخ الفلسفة اليونانية والأوروبية في العصور الوسطى والحديثة عند ديكارت فقد عرف الكتاب والباحثون العرب ناحية أخرى في جيلسون ربما تكون خافية على الكثيرين وهي ناحية اهتمامه بعلم الجمال فقد ترجم د. أحمد حمدي محمود دراسته عن «الفوتوغرافيا والجمال»<sup>(25)</sup> في العدد السابع من مجلة ديوجين، النسخة العربية، القاهرة مايو 1968 إنطلاقاً من تساؤل فلسفي هام هو هل تعد الفوتوغرافيا فناً حقاً وبأي معنى؟ تلك هي النواحي المختلفة في فلسفة جيلسون التي رجع إليها كتاب العرب المعاصرين والتي يتبين موقف كل منهم ليس من جيلسون فقط ولكن من دراساته وأحكامه المختلفة على تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية والغربية في العصور الوسطى والتي تظهر أصالة هذه الفلسفة.

هو الذي اهتدى إلى تلك البداية الرائعة للفلسفة الحديثة معتمداً على ما جاء من تعليق لجيلسون على المقال بأن «صيغة الكوجيتو» أنا أفكر إذن أنا موجود» لا توجد بنصها إلا عند ديكارت [159].

ويشير عثمان أمين إلى محاضرات ليفي بروك عن ديكارت بالسربون 1905-1906 التي لم تنشر والتي أشار إليها المسيو جيلسون في رسالة «الحرية عند ديكارت وعلم اللاهوت باريس 1913 [258] وكذلك بينت لنا مباحث جيلسون [دراسات في تكوين المذهب الديكارتى] 1930، أن ديكارت - وقد تغذى بلبان الفكر الوسيط - عاد إلى وجهة نظر «القديس توما» فصرح بأن حقائق الايمان يجب أن تكون أول ما نصدق به، ويذكر قول جيلسون: «أننا لكي نكون منصفين في أحكامنا على ديكارت يجب علينا حين نورد القاعدة المشهورة قاعدة «المقال في المنهج» التي تنص على «أن لا نقبل قط شيئاً على أنه حق ما لم يتبين ببداهة العقل أنه كذلك أن نذكر فوقها قاعدة أخرى ذكرها في «كتاب مبادئ الفلسفة» حيث قال فيها «يجب أن نتخذ لنا قاعدة تعصمنا من الزلل وهي أن ما أوحى الله به هو اليقين الذي لا يعدله يقين آخر» [262] وفي الفصل الثاني من الباب الرابع يناقش التأويلات المختلفة لفلسفته مستعينا برأي جيلسون [271] ويرجع إلى طبيعيات ديكارت في «مبادئ الفلسفة» متابعاً جيلسون [277].

ويرى مع جيلسون أن ديكارت على الرغم من الاختلاف بينه وبين فرنسيس بيكون في العقلية

## الحواشي

- (1) بنروي: مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة من فرنسا. ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة ج2 ص 360-359.
- (2) د. عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، النهضة المصرية القاهرة 1961.
- (3) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار الكاتب المصري القاهرة 1946 ص 11.
- (4) المصدر السابق ص 254-256-258.
- (5) علي زيعور: أوغسطينوس، دار اقرأ بيروت لبنان 1983 ص 56.
- (6) أتين جيلسون: روح الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، عرض وتعليق د. امام عبد الفتاح امام دار الثقافة للطباعة والنشر ط2 القاهرة 1982، المقدمة.
- (7) د. محمد عبد الهادي أبوريدة، تعليقاته على ترجمة كتاب دي بور تاريخ الفلسفة في الإسلام لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ص 121، 123.
- (8) د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني: ابن سبعين وفلسفته الصوفية دار الكتاب اللبناني ط 1 1973.
- (9) أنظر في ذلك على سبيل المثال كتابات د. عاطف العراقي والتي يطلق عليها «سلسلة العقل والتجديد»: تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية ط 2 القاهرة دار المعارف ص 103-104 «الميتافيزيقا في فلسفة ابن طفيل» دار المعارف ط 1 1979 ص 14-64-85-137-221، النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد» دار المعارف ط 2 1979 ص 71-106-284-301-367 المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد دار المعارف ط 2 1984 ص 69-85-207-302.
- (10) د. أحمد فؤاد الأهواني: مقدمة تحقيق: تلخيص كتاب النفس لابن رشد، النهضة المصرية، القاهرة 1950.
- (11) د. الأب جرج شحاته قنواي: مؤلفات ابن رشد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المطبعة الحديثة [القاهرة] 1987 ص 72. ويشير في حديثه إلى كتابات جيلسون في البحوث التي كتبت عن ابن رشد باللغات غير العربية فيذكر كتابه عن «تاريخ الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ص 314، ويذكر ما كتبه عن الرشدية اللاتينية عند سيجر البرباني ص 340.
- (12) د. محمود قاسم: ماسينيون والحلاج والقرامطة، مجلة كلية دار العلوم، القاهرة.
- (13) د. قنواي: الفلسفة وعلم الكلام والتصوف «فن شاخت ويوزورت: تراث الإسلام» ج2 الكويت، ص 266-267-269.
- (14) د. محمود قاسم: نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكويني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط 2 ص 76.
- (15) المصدر السابق ص 103-104.
- (16) المصدر نفسه ص 126-127.
- (17) نفس المصدر صفحات 178-180-198-199.
- (18) نفس المصدر ص 198 - 199.
- (19) المصدر نفسه ص 242.
- (20) د. زينب الخضير: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة 1983.
- (21) د. زينب الخضير: ابن سينا وتلاميذه اللاتين مكتبة الخانجي بالقاهرة ط 1 1986.
- (22) محمود الخضير: مقدمته وتعليقاته على ترجمته كتاب ديكارت للمقال في المنهج، مطبعة سميركو، القاهرة ط 3 1984.
- (23) د. جميل صليبا: مقالة الطريقة، لجنة الأونسكو لترجمة الروائع الإنسانية بيروت 1953.
- (24) د. عثمان أمين: ديكارت ط 7 مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1976.
- (25) أتين جيلسون: الفوتوغرافيا والجمال، مجلة ديوجين، النسخة العربية العدد 7 القاهرة مايو 1968.